فان هذه الجثث ليست بشيء ، وإنما الأرواح عند الله تعالى، ثم قال: ورويتا عن ابن الزبير أنه قال لامه أسماء قبل قتله : يا أماه ، إن قتلت فانما لحم لا يضر ما صنع بي * وروى خالد بن معد ان قال: لما قتل هشام بن العاص يوم أجنادين ، وقع على ثلمة فسدها ، ولم يكن ثم طريق غيره ، فلما انتهى المسلمون اليه هابوه أن يوطئوه الخيل ، فقال عمرو بن العاص : أيها الناس إن الله قد استشهده ورفع روحه ، وإنما هو جثة فأوطئوه الخيل ، ثم أوطأه هو وتبعه الناس حتى قطعوه . وإذا ثبت هذا ، فان الله تعالى إذا أتلف هذا البدن الترابي وأبلاه المعرض للآفات ، فانه سيعيده بدنا لا يبلى ، في حياة لا تنفد أبداً ، وتبدل صعوبات التكليف بحسن الجزاء ، ويعطيهم أجوراً باقية عن أعمال منقطعة ، كما لا يبقى لمرارات الشعث والتكليف في أيام الاحرام ، طعم عند أيام التشريق . والله تعالى الموفق *

﴿ الباب السابع والعشرون ﴾

(في عد الشهداء وفضلهم وأنهم أرفع درجات من الصالحين)

قال تعالى :(ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) قال قتادة : قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ : كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلى ،ونحن أسفل منك فكيف نراك ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية (ومن يطع الله) في إداء الفرائض (والرسول) في السنن (فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين)أي لا تفوتهم رؤية الانبياء ومجالستهم . فاعلا درجات بني آدم الانبياء ، ثم الصديقون ، ثم الشهداء ، ثم الصالحون، وهذا ترتيب لاشك فيه ، لأن الله تعالى رتبهم في الذكر ، قدم الانبياء ، ثم الامثل فالأمثل في المراتب والمنازل .وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : «مامن نفس تموت لها عند الله خير أنها ترجع الى

الدنيا ولا أن لها الدنيا وما فيها الا الشهيد » الحديث هذا من صرائح الأدلة فى عظم فضل الشهادة . وعن سهل ابن حنيف رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ قال : « من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء و إن مات على فراشه » رواه مسلم فى صحيحه . وفى مسلم أيضا من حديث أنس أن النبى ﷺ قال : « من طلب الشهادة صادقا أعطيها ولو لم تصبه » ورواه الترمذى وصححه من حديث معاذ مرفوعاً ، ولفظه: « من سأل القتل فى سبيله صادقا من قلبه أعطاه الله أجر الشهيد » ورواه الامام أحمد بهذا اللفظ . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ماتعدون الشهيد فيكم ؟ » قالوا : يارسول الله من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ، قال : « إن شهداء أمتى إذا لقليل » قالوا : فمن هم يارسول الله ؟ قال : « من قتل فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات فى الطاعون فهو شهيد ، ومن مات فى البطن فهو شهيد ، والغريق شهيد ، ـ وفى رواية ـ وصاحب الهدم شهيد » وعن جابر بن عتيك رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: « الشهداء سبع سوى القتل فى سبيل الله عز وجل ، المطعون شهيد ، والغريق شهيد ، والمبطون شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والذى يموت تحت الهدم شهيد ، وصاحب الحريق شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيد » رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائى . وروى ابن ماجه بعضه . ـ قوله بجمع بضم الجيم وإسكان الميم وهى التى تموت حاملا أو نفساء ـ كذا ذكره غير واحد من أهل العلم . والله أعلم * وروى الامام أحمد والنسائى من حديث صفوان بن أمية عن النبى ﷺ قال: «الطاعون شهادة ، والغرق شهادة، والبطن شهادة» وروى النسائى أيضا من حديث عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « خمس من قبض على شئ منهن فهو شهيد ، المقتول فى سبيل الله شهيد ، والغريق فى سبيل الله شهيد ، والمطعون فى سبيل الله شهيد ، والفناء فى سبيل الله شهيد » وروى

مالك فى الموطأ عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فى قصة أن النبى ﷺ قال: « ماتعدون الشهادة فيكم ؟» قالوا : القتل فى سبيل الله . فقال رسول الله ﷺ: « الشهادة سبع سوى القتل فى سبيل الله » ثم ذكر نحو ما تقدم فى السنن من حديث جابر بن عتيك * وروى البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « الشهداء خمس ، المطعون والمبطون ، والغريق وصاحب الهدم ، والشهيد فى سبيل الله » قال العلامة اسماعيل التيمى الاصبهانى : ـ مفسراً لهذا الحديث ـ قال المطعون الذى أصابه الطاعون ، والمبطون الذى أصابه علة البطن . انتهى *

وقال غيره من العلماء :للناس فى تفسير علة البطن ثلاثة أقوال (أحدها) أنه الذى يموت بالاستسقاء (والثانى) الذى يموت بالمغص الشديد ـ وهو الذى يسمونه القولنج ـ وهو مرض معروف (والثالث) الذى يموت بالاسهال ، انتهى كلامه * قلت : والقول الثالث هو الراجح عند أكثر أهل العلم ، و بعضهم لم يحك غيره ويحتمل والله أعلم أن الشهادة تعم الثلاثة أصناف المذكورة ، وهو أبلغ فى الكرم وسعة الفضل ، والله أعلم . ومما يؤيد هذا الاحتمال ماروى ابن حبان فى صحيحه من حديث سليمان بن مراد ، وخالد بن عرفطة ، أن رسول الله ﷺ قال : « من قتله بطنه لم يعذب فى قبره » وعن عبد الله بن عمرو قل: قال رسول الله ﷺ: « من قتل دون ماله فهو شهيد » رواه البخارى. وروى أبو داود والترمذى والنسائى واللفظ له من حديث سعيد بن زيد رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ : « من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد » وروى النسائى منفرداً من حديث سويد بن مقرن رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :« من قتل دون مظلمته فهو شهيد » وروى الامام أحمد من حديث ابن لهيعة عن خالد بن أبى زيد عن سعيد بن أبى هلال عن

ابراهيم بن عبد الله بن رفاعة ، أن أبا محمد أخبره وكان من أصحاب ابن مسعود حدثه عن رسول الله ﷺ أنه ذكر عنده الشهداء قال: « إن أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته » * وروينا في خبر ابن عرفة مرفوعاً « الموت كفارة لكل مسلم »

﴿ فصل ﴾

ومما ينبغي أن يعلم أن العبد إذا نظر أو سمع ما تقدم في هذا الباب من تنوع الشهادة ، وذكر تعدادها ، حصل له تسلية بموت محبوبه ، فانه في الغالب لابد أن يكون ناله نصيب منها ، مع أني لم أحط بكل ماورد عن النبي ﷺ في تسمية الشهداء ، وقد روى مرفوعاً : « موت الغريب شهادة » وقد استقصينا في عد الشهداء في كتاب (أحكام الطاعون) ويكفي في البشارة ما تقدم قريبا من رواية الامام أحمد مرفوعاً « أن أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرش » وتقدم ما أعد الله للشهداء من حين الموت ، ومالهم عند الله ، وأن أرواحهم في حواصل طير خضر تأكل وتشرب في الجنة ، وتسرح حيث شاءت ، وكل هذا في دار البرزخ ، فاذا دخلوا الجنة يوم القيامة بأجسادهم انتقلوا الى نعيم أعلا من ذلك وأكثر منه . قال أبو بكر القطيعي : ثنا بشر بن موسى ثنا ابن خليفة ثنا عوف عن خنساء قالت حدثتني عمتي قالت قلت يارسول الله ، من في الجنة ؟ قال: « النبي في الجنة ، والشهيد في الجنة ، والمولود في الجنة ، والموؤدة في الجنة » وكذلك رواه بندار عن غندر عن عوف فذكر مثله . فانتقال العبد الى الله وما عند الله هو خير لعباده من هذه الدنيا التي خلقهم فيها ، فينظر كيف يعملون ، ويبتليهم بالمحن والمصائب ، والشهادات حتى يعلم الصابر منهم والجازع ، ليجازي كل شخص بحسبه ، فمنهم من يجازيه بالجنان ، ومنهم من يجازيه بالنيران وكل ذلك عدل منه سبحانه وتعالى لا يظلم مثقال ذرة ، بل إن أدخل العبد الجنة فبرحمته وفضله ، وإن أدخله النار فبعدله وسلطانه

(لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فله الحمد دائما على كل حال *

﴿ فصل ﴾

والشهادة المطلوبة شهادة المعركة على ما تقدم ، وكذلك شهادة الطاعون ، فانه قد ورد فيها أحاديث وآثار فى تمنى الطاعون ، كما وقع فى قصة المغيرة بن شعبة أنه قال : اللهم ارفع عنا الرجز ـ يعنى الطاعون ـ فقال أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه : أما أنا فلا أقول هذا ، ولكن أقول كما قال العبد الصالح أبو بكر الصديق رضى الله عنه: اللهم طعناً وطاعوناً فى مرضاتك . وقام أبو عبيدة خطيباً فقال: يا أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم ، ودعوة نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وأن أبا عبيدة يسأل الله العظيم أن يقسم له من حظه . قال : فطعن فمات. وثبت فى مسند الامام أحمد أن النبى ﷺ قال : « اللهم اجعل فناء أمتى بالطعن والطاعون » وغير ذلك من الأحاديث والآثار التى لا تحضرنى وقد قررت ذلك فى كتابنا المعروف باحكام الطاعون ، ولكنه لم يكن عندى حين ألفت هذا الكتاب ، فان قيل : الشهادة المطلوبة شهادة المعركة ، وكذلك شهادة الطاعون كما تقدم ، وقد ورد فى بعض الأحاديث أن النبى ﷺ استعاذ من بعض ما عده شهادة ، ففى مسند الامام أحمد مرفوعاً ، إستعاذ من سبع موتات ، من موت الفجأة ، ومن لدغ الحية ، ومن السبع ، ومن الغرق ، ومن الحرق ، ومن أن يخر على شئ ، أو يخر عليه شئ ، ومن الفرار من الزحف ، وفى المسند أيضا مرفوعاً « اللهم إنى أعوذ بك أن أموت هماً أو غماً أو أن أموت غرقا وأن يتخبطنى الشيطان عند الموت » ورواه النسائى ولفظه « اللهم إنى أعوذ بك من الهدم والتردى والهم (١) والغم والغرق والحرق وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت وأعوذ بك أن أموت فى سبيلك مدبراً وأعوذ بك أن أموت لديغا » وغير ذلك من الأحاديث . يقال : لم يقل أحد من

(١) فى الاصل « والهرم » وهو خطأ

العلماء أن كل شهادة مطلوبة ، بل من وقع له أو لمحبوبه أولغيره شيء مما عده النبي ﷺ شهادة ، فهو شهيد ، والشهيد ثلاثة أقسام (أحدها) شهيد فى الدنياوالآخرة وهو المقتول فى المعركة مخلصاً (والثانى) شهيد فى الدنيا فقط وهو المقتول فى المعركة مرائيا (والثالث) الشهيد فى الآخرة فقط وهو من أثبت له الشارع الشهادة ولم يجر عليه أحكامها فى الدنيا . كالغريق والحريق ومن به ذات الجنب ونحوه كما تقدم . فان قيل : لم سمى الشهيد شهيداً ؟ قيل : قد اختلف العلماء فى ذلك على أقوال (أحدها) لأنه حى كما قال تعالى : (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) (الثانى) لأن الله تعالى وملائكته شهدوا له بالجنة (الثالث) لأن الملائكة تشهده (الرابع) لقيامه بشهادة الحق حتى قتل (الخامس) لانه يشهد ما أعد الله له من الكرامة بالقتل (السادس) لانه شهد لله بالوجود والالهية بالفعل لما شهد غيره بالقول (السابع) لسقوطه بالارض وهى الشاهد له (الثامن) لانه شهد له بوجوب الجنة (التاسع) من أجل شاهده وهو دمه (العاشر) لانه شهد له بالايمان وحسن الخاتمة . فهذه عشرة أقوال من أماكن متفرقة جمعت اليك رخيصة الاثمان . فهذه الأقوال فى المخلص الذى قصد بجهاده وجه الله تعالى ، والدار الآخرة ، فانه سبحانه وتعالى إذا علم قصد العبد وإخلاصه أعانه وأغاثه . قال تعالى : (إنا لانضيع أجر من أحسن عملا) وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزى فى جزء الثبات عند الممات فى هذا المعنى ، عن على بن الموفق قال : سمعت حاتم الاصم يقول : لقينا الترك وكان بيننا جولة ، فرمانى تركى بسهم فقلبنى عن فرسى ، فنزل عن دابته ، فقعد على صدرى ، وأخذ بلحيتى ، وأخرج من خفه سكينا ليذبحنى ، فوحق سيدى ما كان قلبى عنده ولا عند سكينه إنما كان قلبى عند سيدى أنظر ماذا ينزل به القضاء منه ، فقلت : سيدى قضيت على أن يذبحنى هذا فعلى الرأس والعين ، إنما أنا لك وملكك ، فبينما أنا كذلك

وهو قاعد على صدرى إذ رماه بعض المسلمين بسهم فما أخطأ حلقه ، فسقط عنى ، فقمت اليه وأخذت السكين من يده فذبحته بها ، فما هو الا أن تكون قلوبكم عند مليككم حتى تروا من عجائب لطفه مالا تروا من الآباء والامهات *

﴿ الباب الثامن والعشرون ﴾

(فى ذكر الصراط ودرجات الناس فى المرور عليه)

أما الصراط فهو جسر منصوب على متن جهنم ، وهو أحد من السيف وأدق من الشعرة ، ثبتنا الله وإياكم على المرور عليه . وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث أبى هريرة وحذيفة رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم آدم ؟ لست بصاحب ذلك ، إذهبوا الى ابنى ابراهيم خليل الله قال : فيأتون ابراهيم فيقول ابراهيم عليه السلام : لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلا من وراء وراء ، إعمدوا الى موسى كلمه الله تكليما ، فيأتون موسى فيقول : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا الى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى : لست بصاحب ذلك ، اذهبوا الى محمد قال : فيأتون محمدا ﷺ ويؤذن له ويرسل الأمانة والرحم فيقومان جنبى الصراط يمينا وشمالا ، فيمر أولكم كالبرق يمر ويرجع فى طرفة عين ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير وشد الرحال (١) تجرى بهم أعمالهم ونبيكم ﷺ قائم على الصراط يقول : رب سلم رب سلم حتى تعجز أعمال العباد وحتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير الا زحفا ، قال وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوش فى النار » والذى نفس أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفا * وعن أبى سعيد الخدرى

---

(١) فى الاصل « الرجال » وهو خطأ